مقال: أخطاء فادحة بين الحجاج شائعة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، القائل في حجه حجة الوداع: (خذوا عني مناسككم)، التي جاءت في أواخر حياته، بعدما تكونت أسس الإيمان وانتشرت تعاليم الإسلام واكتملت معظم الأحكام.

مقدمة:

الموضوع الحالي، يظهر بجلاء في موسم الحج. لكنه يؤسف لانتشار الأخطاء في مكان حَرَم وزمان مُحَرم، تُفترض فيهما إقامة دورة تدريبية على أحسن الأخلاق، في العبادة الركن من أركان الإسلام الخمس. فإذا افتقدنا التربية، انطبق علينا المثل: فاقد الشيء لا يعطيه.

إنها أخطاء متعددة ومتنوعة، تدل على ضعف التزود بالمعلومات الفقهية الصحيحة والتطبع بالتصرفات الإسلامية الأصيلة. نذكر فقط بعضا من الأخطاء الفادحة، المنتشرة بين الحجاج الرجال أو النساء، كما يلي:

ا) أخطاء عامة للرجال والنساء:

1) أزبال متعددة ومتراكمة.

خلافا للحديث النبوي الصحيح: (إني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم

مكة)، المؤدي لوجوب احترام المكان المحرم، سواء أثناء أو خارج وقت الإحرام، نجد حُجاجا يرمون مُخلفاتهم أينما كان، ولو مع وجود حاويات الأزبال.

فمن محظورات الحَرمين المكي والمدني، ما يجعلهما مُقَّدسين، لدرجة عدم جواز قطع الشجر والنبات الأخضر الذي نبت فيهما تلقائيا. وإنها فرصة للتدرب على احترام البيئة وجوبا، مما يجعل ديننا رائدا في المحافظة عليها.

لكن كثيرا من الحجاج على العكس، لا يحترمونها إطلاقا، ولو أثناء المناسك حتما. ونظرة إلى الشوارع بعدها، كما في منى وعرفة، تجعلنا نظن وقوع كارثة بيئية. فنجد مُخلفات قنينات الماء وعُلب الأغذية، تنتشر بأشكال رهيبة في كل مكان.

<u>2) أدعية جهرية وجماعية.</u>

خلافا لقوله تعالى في سورة الأعراف: (وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ)، المؤدي لوجوب احترام الآخرين، سواء أثناء الصلاة أو خارجها، وفي وقت الذكر بكل أنواعه، نجد حُجاجا يذكرون الله بالجهر أو مع الجماعة.

فكثيرون ولو أثناء المناسك، كالطواف والسعي، يُصرون على الأدعية

الجهرية والجماعية، بل أحيانا بمُكبرات صوت قوية، مما يفتن كل المجاورين عن الكيفية الهادئة المطلوبة. وكأن لا أحد أحق منهم، بالذكر دونهم.

إنها وسائل لا تؤدي للخشوع حتما، خاصة ممن لا يعرف الكلمات مضمونا، بل قد تؤدي للرياء غالبا. ونحن لسنا مطالبين بالدعاء هناك شكلا، بل الصدق باللغة الداخلية هو المطلوب تماما. ولا داعي لأعمال، قد تؤدي بنا للسيئات كثيرا.

3) ازدحامات منتشرة ومؤذية.

خلافا للمفهوم الموافق للنص الحديثي الصحيح، الوارد عند الرجوع من عرفة إلى مزدلفة: (أيها الناس عليكم بالسكينة)، نجد حُجاجا يتزاحمون في كل زمان ومكان، ولو مع إضرار الآخرين بدل مراعاتهم أجمعين.

فلا ننتبه أن المعصية تختلف حسب الزمان والمكان والشخص، زمان الحج ومكان الحرم وشخص الحاج. وإثم الإضرار بالمزاحمة، المحرم أصلا دائما، يكون أعظم هناك حتما. وبقدر ما نحرص على مضاعفة الحسنات، ينبغي الانتباه لعظمة السيئات.

والصورة الأسوأ في مكة المكرمة، هي التزاحم العنيف باستمرار في

ركن الكعبة حول الحجر الأسود. أما في المدينة المنورة، فهي التزاحم الشديد حول الروضة الشريفة. والمصيبة، أننا نتمسك بجهلنا بسُنن، ولو وقعنا في محرمات أكبر، إثمها أعظم من حسنات السنن.

ب) أخطاء خاصة بالنساء:

1) مزاحمة النساء للرجال:

خلافا لكل النصوص التي تنهى عن الاختلاط الجسدي بين الرجال والنساء، نجد أسوأ صورة للاختلاط، حتى بجوار الكعبة في صحن الطواف. وتظهر السلطات كلها، عاجزة عن منع هذه الظاهرة المشينة، التي لا تَمُت للإسلام بصلة.

إن المشكلة في المسلمين، لأن هناك أماكن خاصة بالنساء لا تمتثل لها سوى محدودات. وبعض الرجال يحرصون على إدخال نسائهم، فرادى أو في مجموعات، مما يتسبب في عرقلة الطواف. ومع الازدحام، لا يمكن أن ننتظر سوى الويلات.

ومن الغرائب، أن نجد كثيرين وكثيرات، يحرصون على الجلوس مقابل الكعبة بالذات، وكأنها جُعلت فقط للفُرجة والنظرات. لكن الصواب أن نعبد الله، ونذكره في أنسب مكان. ولا نتقدم إلى الأمام، تقدما يتسبب في الازدحام.

2) حرص النساء على المساجد باستمرار:

خلافا للأحاديث النبوية، التي تنص على أفضلية صلاة المرأة في بيتها، ولم تستثن من الأفضلية حتى المسجد النبوي والمسجد الحرام، نجد معظم النساء يحرصن على المسجدين النبوي والحرام باستمرار، ولو تسبب حضورهن في محرمات الاختلاط مع الرجال.

فوجب التنبيه، أن أفضلية الصلاة في المسجدين، خاصة بالرجال. أما النساء، فالأفضلية تبقى في مساكنهن ولو في غُرف الفنادق. لكن لا يعني هذا حرمانهن من المساجد، بل فقط تنبيههن لعدم الحرص عليها باستمرار ولعدم تضييع أجرهن الأفضل على الدوام.

ولا شك أن الاحتياط واجب، وما يؤدي إلى الحرام حرام. فلا ينبغي للنساء، الذهاب بالخصوص إلى المسجد الحرام في وقت أو مكان الازدحام مع الرجال. والسيئات أو التسببات فيها، من العظائم داخل هذا المقام.

خاتمة:

هذه بعض الأخطاء فقط، والباقي كثير في مراحل الحج كله. فإذا عُرف السبب، المتجلي في انتشار الجهل بأحكام الدين، بطل العجب من انحراف كثير من المسلمين عن الإسلام الصحيح، الذي يعطي صورة

حسنة عنه لا كما نصوره نحن.

إننا للأسف، نجسد حقا نبوءة نبينا صلى الله عليه وسلم، أن نكون كثيرين كثرة غثاء السيل. فندعو الله العلي القدير، أن يعلمنا أحكام ديننا، ويوفقنا للعمل بها في حياتنا والفوز بها في آخرتنا أجمعين. آمين، يا رب العالمين.